منزل الرجل الأعمى

info@darak-eg.com

02 24832669-010 27251915

51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

منزل الرجل الأعمى

بهاء حجازي

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغــوي- تنسيق داخلي:

www.sekoon.com

رقم الإيداع: 2018/23325

الترقيم الدولي: 978-977-6634-16-9

الطبعة الأولى: 2019

بهاء حجازي

منزل الرجل الأعمى

رواية

دارك
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى من قبلوا العوض فينا، وجدنا فيكم عوضا لكننا لم نقبل.

بهاء حجازي

إهداء خاص جدًّا

إلى..

أحمد علي سعد الدين؛ «والدي وأصدق رجل قابلته في حياتي، والله يا أبي إنك بعد الدين دين».

والسيدة «جمالات عبدالرحيم»؛ أمي وواحدة من أهم مصادر الحنو على هذا الكوكب.

البعـض تسـلبهم الحيـاة الخيـارات، تعطيهـم القليـلَ منهـا، وإن شـذّوا عـن المتـاح منهـا، تصفعهـم ليتيقنـوا أنهـم خالفـوا بنـدًا لا غفـرانَ فيـه، البعـض عـاش حياتـه دون أن يشـعر بطعـم السـعادة، عـاش ومـات دون أن يعـرف لمـاذا أتى إلى الدنيـا أو لمـاذا غادرهـا.

بطـل هـذه القصـة واحـدٌ منهـم.. بطـل هـذه القصـة لم يختَر، هـو خُـيِّرَ.. وحـين اختـار، اختـار الأسـوأ.. بطـل هـذه القصـة أتاهـا وغادرهـا دون أن يفـرح.. أتاهـا بندبـة وغـادر بجـرحٍ.. جـاء في قفـر وعـاش في فقـر، ورحـل فقـيراً، المـرة الوحيـدة التـي جـرَّب رغـد العيـش فيهـا، نـدم أنـه جربـه.

بطـلُ هـذه القصـة أُعجـب المـوت بحزنـه، فقـرر أن يُحزنـه كثـيراً، أعُجب المـرض بأنينـه فقـرَّر أن يختـبره في أقـرب النـاس إليـه، بطـل هـذه القصـة أحاطـت بـه الجـراح والمـآسي مـن كل اتجـاه، وحـين يَئِـس مـن الفـرار منهـا قـرَّر أن يصاحبهـا، فعـاش طـوال عمـره صديقًـا للمـرض والفقـر والوجـع، وكان المـوت رفيقـه الدائـم.

قبل البداية بكثير..

هنا لا يهم التاريخ، فتواريخُ بلادنا متشابهة

هنا يهم أن أصف لك المكان

منـزلٌ فسـيحٌ، بسـيط، وغـير مسـقوف في الكثـير مـن أجزائـه، الفقـر يضربـه في كل ناحيـة، البيـت يبـدو لـك مـن الوهلـة الأولى أنـه دخـل صراع مـع الفقـر والمـرض فانتـصر الأخـيران عليـه وسَـكِنا جوانـب البيـت وجنبـات أصحابـه، الوالـد عـلي، شُـلَّت قدمـه وضرب العمـى عينـه، فأصبـح أعمـى كسيح يقتـات مـما يلقيـه عليـه أبنـاؤه مـن فتـات قُوتِهـم، فشحـب جسـده وذهـب لونـه وهجرتـه زوجتـه، أصبـح يفـترش حصـيراً حـادَّ الصفـات يـترك قروحًـا وتقيُّحًـا في جسـد سـاكنه.

الوالـدة: نفيسـة. سـيدة تعشـق أبناءهـا الذكـور، أمـا الإنـاث فهـي لا تحبهـن، ولـولا خوفهـا مـن اللـه لوأدتهـن.. الرجـل الأعمـى الكسـيح مـع سـيدة لا تحـب الفتيـات، أنجبـا ثلاثـة رجـال وثـلاث سـيدات، أنجبـا فتـاة أولى أخـذت مـن أبيهـا عـماهُ فأسـموها «عايـدة»، وعايـدة هـذه عادهـا كل شيء سيء، حُرمـت مـن النظـر والجـمال ومـن الـزواج ومـن التحـاف حضـن رجـلٍ آخـر الليـل، لم تتـزوج، وبالتـالي لم تنجـب، لم تسـمع أحدهـم يقـول لها

«ماما»، أنا قلتها مرة بالخطأ فاحتضنتني حضنًا جعلني أشعر شعورًا غريبًا لا يمكنني وصفه، شعورًا يُعاش ولا يُوصف، يمكنني فقط أن أقول لك إنها كانت تحتاج لسماعها، وتمنَّت أن أكررها إلا أنني لم أفعل، لقد كنت أرى السعادة جلية في ملامحها التي اكتست بالتجاعيد.. عايدة، زارتها التجاعيد مبكرًا، شاخت حتى ظنَّ من رآها أنها وُلدت شائخة.. وقد تكون.

بعد عايدة كان طبيعيًّا أن تنجب سيدة محبة للذكور مثل جدتي، ابنها الولد، أسموه محمد، كان عمي صلبًا.. صوته غليظًا وجلبابه مفرودًا عليه كأنه وُلِدَ به، على الدوام كان يذهب به إلى «جرجا»، ليكويه لدى مكوجي «رِجل» لم يكن يضع لافتة على محله لأُسميه لك.

وتكررت لقاءات الرجل الأعمى بزوجته فأنجبا أحمد وحليمة وأمنية واختتما إنجابهما بصبي أسمياه عبد الباسط، كان الفقر يضربهم ولم يتوقفوا عن الإنجاب.. لا أعلم لمَ يصر الفقراء على إنجاب الكثير! ماذا سيجنون من العالم بإنجابهم كل هذا الكم من الأطفال؟، العالم لا يحب الفقراء.. قد يتعاطف البعض معهم، يتصور أحدهم معهم، ويبكي على أحوالهم، ثم يذهب ليلتحف زوجته على سرير فاخر سعر مرتبته تحل أزمات شباب حيٍّ كاملٍ من الفقراء.

***

في الصعيد، وقبل 60 عام، لم تعرف النساء الأفران لا الكهربائية ولا الغازية، كانوا يعرفون الأفران التي يبنوها من الطين ثم يحرقون الطين فيشتد، كان الفرن به فتحتان، تضع السيدة النار في مؤخرة الفرن

وتأخذ الخبز من فيهها، جلست عمتي عايدة الكفيفة أمام الفرن وكانت تضع في مؤخرة الفرن منطال من الفول ليخرج مدمسًا، وفوق رأس الفرن كان يضعوا "إناء» مياه كبيرة تكفي لحموم ثلاثة من افراد الإسرة، عمتي لم تكن تري أين تضع الحطب، جاء عمي عبدالباسط اليها وحاول ان يُنزل أناء المياه الساخنة من الأعلى فأمسكت نار الفرن في جلبابه فحرقته، فخر ارضًا، نقلوه إلى المستشفى، وفي الصباح قالوا لجدتي:

- البركة في أحمد ومحمد، الله يرحم عبد الباسط.

***

عاشت الأسرة في جو من الحزن، فعبدالباسط لم يكن أصغر فرد في الأسرة فقط، لكنه كان مصدر بهجتها، كان الأبناء يعاملونه على أنه ابنهم، عمتي عايدة شعرت أنه ابنها، فلذة كبدها أحبَّته كما لم تحب أحدًا، كانت متأكدة من أنها لن تتزوج.. مَن يتزوج بامرأة كفيفة ودميمة! لذا أحبَّت عبد الباسط، أعطته حنانَ الأم والأخت، أعطته كثيراً، شعر هو بهذا كان يلعب كثيراً وينوي أخوه محمد ضربه إلا أنه كان يختبئ بحضن عايدة، التي لم تجرِّب يوّما حضنَ رجلٍ، كان حضنها ملاذًا آمنًا لعبد الباسط، أحبَّته ولم تكن تعلم أنها من سترسله إلى مثواه الأخير، عقدة الذنب ستظل تطارد عمتي عايدة حتى تلقى ربها وتذهب هي الأخرى إلى مثواها الأخير، حين عَلِموا بخبر الوفاة كانت عمتي تجلس في ركنٍ من أركان الغرفة تنتفض خائفة وباكية وشاكية، كانت تبكي بعين أخبرتها منذ زمن أنها غير قادرة على البكاء، كانت تبكي بعين فقدت قدرتها على أداء وظيفتها منذ زمن، دخل

عمـي محمـد عليهـا، وانهـال عليهـا ضربًـا وهـي تـصرخ بـدون مُجيـبٍ، كان يقـول جملـة واحـدة:

- حرقتي أخوكي يا عايدة..!

***

ظلـت الأسرة في حـزنٍ دائـمٍ، يرتـدي رجالهـا ونسـاؤها السـواد، حتـى قـرَّر عمـي أن يتـزوج، لـن يتـزوج مـن المدينـة لأنـه يجهـل المدينـة ونسـاءها، سـيتزوج ابنـة خالتـه، فتـاة لا تملـك إلا قـدرًا بسـيطًا مـن الجـمال والعلـم، لكـن الفقـر يحـب الفقـر، والمـرض يحـن للمـرض، تقـدَّم لخطبتهـا فرفضـه والدهـا؛ لأنـه ليـس لديـه عمـلٌ دائـمٌ، كان عمـي يسـافر إلى السـعودية سـنةً ويظـل في البلـدة سـنة فينفـق مـا قـام بتوفـيره طـوال سـنة السـفر، وهكـذا.. تقـدَّم مـرة واثنتـين وثـلاث، وفي كل مـرة يُقابَـل طلبـه بالرفـض، وفي مـرة مـن المـرات قامـت والـدة العروسـة المنتظـرة بـشراء حاجتهـا من ملابـس وصندوق كان بمثابـة الـدولاب، كانـت تضـع فيهـا العـروس ملابسـها، وفي جُنـح الليـل أخذتهـا مـن يدهـا وأوصلتهـا إلى بيـت جـدي الأعمـى، وقالـت لعمـي:

- أبوهـا رأسـه ناشـفة يـا محمـد، أنـا جبتهالـك وبكـرة هـو الـلي هيجـي علشـان يكتبلـك عليهـا.

يومهـا وقـف عمـي خائفًـا وفرحًـا، يحمـل إحساسـين متضاربـين، سـأل خالتـه وهـو يعـرف الإجابـة مسـبقاً، قـال لهـا:

- ما يمكن يقتلني بدل ما يكتبلي عليها.

قالـت لـه وهـي تهـم بالمغـادرة، بعدمـا تركـت ابنتهـا تنـام ليلتهـا مـع رجـلٍ لا يجمـع بينهـا وبينـه رابـطٌ سـوى أنـه ابـن خالتهـا.

- ماتخافش مش هيقتلك هيخاف من الفضيحة، مفيش حاجة توجع الراجل أدّ بنته.

ووضعت بردتها على رأسها وغادرت..

عمتي عايدة في هذا اليوم تملّكتها عدة أحاسيس، إحساس أخيها الذي سيتحول من كونه شابًا أعزب إلى رجل متزوج، سيكون له من تعينه وتقوم على خدمته، وبغض النظر عن التفاصيل، الأمر كان جللاً بالنسبة لها، ذهبت عمتي عايدة إلى أمها وببراءة الجاهل قالت لها:

- عواطف رايحة تنام جنب أخويا محمد في أوضته.

- طيب وإيه يعني، ما يناموا علشان يجيبوا عيِّل حلو إن شاء الله يكون ولد.

أطرقت عمتي سارحة بذهنها بعيدًا، وقالت لأمها:

- هي اللي تنام جنب راجل تخلف.

ضحكت جدتي ولكمتها في جانبها الأيسر، ثم قالت لها:

- أيوه..

شعرت عمتي بالخجل من فطرتها، وقالت لها:

- أنا كمان عاوزة أنام مع راجل.

قالت قولها، ولم تكن تعلم أن ما أوردته أمر لن يحدث في هذه الدنيا، علّه يحدث في الآخرة.

***

في الصباح، أتى والدُ العروس باديًا عليه الحزن والكسرة، جراء فعلة زوجته، طرق والد العروس المقبض الحديدي للباب الخشبي الكبير

بعصاه فأصدرت صوتًا أشبه بارتطام قطار السكك الحديدية بالقضبان، هبت عمتي عايدة وفتحت الباب، جاءها صوته به غلظة اعتادت عليها، قال لها بعدما رفع عصاه من الأرض، في إشارة منه إلى أنه لم ينوِ خيرًا، هي لم تفهم الإشارة، هي لم ترَها من الأساس لتفهمها:

- أخوكي محمد فين يا عامية؟

الجميع ينادي عمتي بالعمياء إلا أمها وأبي، هي لم تكن تحب الفتيات، لكنها ابنتها، أوكما قال لي أبي «مفيش حد بيكره ضناه يا ابني؟»، دخلت عمتي إلى الداخل، كان الجميع بانتظار هذه اللحظة إلا عمي، كان يستحم جراء ليلته مع ابنة خالته، العائلة بالكامل كانت بانتظار القادم بعصاه، والجميع يعلم أن الأمر سينتهي بتسوية، وسيغضب الرجل أيامًا ثم تعود الحياة إلى مجراها، وجد الرجل أبي وأعمامي في انتظاره، رحبوا به، أشاح هو بوجهه عنهم، جلس الرجل والغضب جليًّا على ملامحه، خبط بعصاه في الأرض ثلاثًا، ظلَّ يرسم ثعبانًا بعصاه على تراب منزل جدي الأعمى الذي غاب عن هذه الجلسة، انتهى من رسم دوائر تحيط بالثعبان، قال دون أن يلتفت إلى أحد كأنه يخشى المواجهة:

- يعني ينفع اللي حصل دا يا رجالة؟

ردَّ أبي، وكأنه يحفظ ما يقول عن ظهر قلب:

- لا طبعًا ماينفعش، من إمتى واحنا بيعجبنا العيب يا خال، بس محمد ابنك والبنت بنتنا والعيال لما تغلط ناسها بتتصدر ليها، وربنا ستار، أمي بعتت تجيب الشيخ يكتب عليهم وخليهم يولَّعوا ببعض.

وقد كان، ولع عمي وزوجته ببعض وجر الرجل عصاه وعاد من حيث أتى.